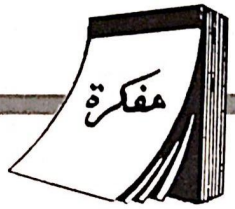

بقلم: م. سفيان

نعم أيها السادة : أنتم تطردون الفلسطيني !

الثوار حين يتكلمون

الدبدان ..

كلمة اطلقها الشعب الكوبي على اولئك الذين باعوا انفسهم بالدولار وآثروا العبودية وانتقلوا الى شاطىء العدوان والحرب .. الى الولايات المتحدة الاميركية .

الدبدان ..

الكلمة التي عبرت بها الثورة الكوبية العظيمة عن الغثامة في الشعب ..

ما اوسعها واصدقها صفة عن الذين يحنون الى الماضي ويهدمون الحاضر ويتآمرون على المستقبل !!.

الدبدان : الطبقة التي كانت تعيش متخمة على فتات موائد الاميركان حين كانت كوبا ماخورا كبيرا يعربد فيه الدولار حتى مطلع الفجر .

هذه الطبقة سحقت باقدام الشعب الكوبي العظيم وثورته الشعبية ..

الثورة التي صنعت من كوبا شوكة مغروسة في حلق العدو حتى ولو كان بحجم اميركا .

الثورة التي مسحت الامية وانست الشعب الجوع وعودت الاجساد التي عاشت عارية على لبس الثياب .

الثورة التي يتوسد زعيمها كاسترو البراري وبيده المنجل ، يحصد مع الشعب الخير ، ملايين الاطنان من قصب السكر .

الثورة التي يحمل زعيمها كاسترو البندقيه ومعه مليونان ونصف مسلح . مليونان ونصف مسلح لشعب صغير .. صغير .. لا يبلغ عدده تسعة ملايين نسمة .

هذه الثورة هي التي تسحق العملاء وتتحدى الاعداء وتقول ما تريد ..

مثل هذه الثورة فقط .. فقط مثل هذه الثورة .

لا ثوارات الورق ، ومجموعات العساكر والعشائر ومحترفي الانقلابات ، وتنصيب فلان وخلع علان .

ثورات الورق و لعساكر .. لا تخيف ديدان الشعوب .. ولا تنتف ، ولا شعره واحدة من جلد العدو ..

ولا حتى تتجرأ على السؤال عن عمر العشرة كم ؟!

الفلسطيني المضطهد ..

اضطهاد بعض الحكومات العربية للانسان الفلسطيني شيء حقيقي، موجود وملموس .. وكل من يحاول نكرانه فهو اما جاهل او منافق او .. حاكم !!

الانسان الفلسطيني مضطهد !

نعم .. مضطهد !

مضطهد هنا .. مضطهد هناك !

في المخيمات .. في دوائر الحكومة ، في كل المؤسسات .

مضطهد حتى في لهجته ..

وحتى تحت لحافه الذي لا يعرف من سرقه من فوقه صباحا : امه ام السلطة !

من يدعي غير ذلك فهو جاهل .. عليه ان يفتش عن الحقيقة .

والحقيقة تلك هي دقيقة واحدة على حدود بلدان عربيين !

الحقيقة هي عدة نظرات ، لا الى الفلسطيني القابض بكل اعصابه واطرافه على وثيقة السفر وختم لعيزا الذي تمزقت من اجله قدماه وكرامته وابتذلت توسلاته ، لدخول هذا البلد او ذاك ، ولكن الى رجل الحدود حين يستلم وثيقة فلسطينية ، الى عينيه اللتين تشتمان في لحاظها والى مقاطع وجهه التي تتقلص سبابا مع كل نفثة احتقار .

من يدعي بعدها عكس ذلك فهو جاهل .. عليه ان يبحث عن الحقيقة .

ان يأخذ مشواره الى دوائر الاقامة .. او الى هذه المصلحة او تلك المؤسسة .. وحتى الى المستشفيات ودور العلاج !

وبعد دقائق سوف يكتشف ليس الحقيقة وحدها .. وانما حاسته السادسة او السابعة وربما الثامنة ..

الحاسة التي يستطيع ان يتعرف فيها على الانسان الفلسطيني ولو من الوراء ، حين يراه يتسربل بالمعاملة الخشنة القاسية المهينة المميزة .

ومن يدعي بعد كل هذا العكس .. فهو منافق !!

منافق عليه آن يتفحص ضميره عله يعود عن غيه !

اما اذا أصر .. واصر .. واصر ..

.. فهو بلا شك حاكم !

ومثل ألف عام !.

عندما قلنا بانه لا حسم ولا فصل عند هذه الانظمة ، مطمط البعض شفتيه واطلق لفرس آماله العنان وانتظر مخاض هذه الانظمة حتى آخر لحظة من العام .

العام الذي رحل بهدوء تاركا مكانه لعام جديد لاحق تباشره مطمئنة لم تزعجها ولا طلقة صوت على جبهة القتال ..

عام استقبل كسابقه بالوعود والوساطات وشرح وجهات النظر ، ثم النهام فر ر طري للامم المتحدة سيستقر في بطون الملفات لا يسال عن احد ولا يسأل عنه احد كما هو الحال منذ ١٩٤٨ .

الضحك على ١٢٠ مليون فرد وصبغهم بالمواعيد وتلبيسهم الوعود وتجنيدهم الخطابات واوامر التدريب والتعتيم ، اصبح شيئا عاديا عند هؤلاء الذين يلحسون اليوم وعود الامس ويشربون فوقها وعودا جديدة دون ان يرف فوق اعينهم طرف الحياء او تقرصهم يد الضمير .

الضحك على ١٢٠ مليون انسان ومسح الارض بهم اصبح عادة عند هؤلاء ..

عادة سيئة ، افقدتهم القدرة على رؤية الشعب شعبا لا قطيعا من الارقام التراكمة الغافية تتلاعب بها الايدي والالسن كيفما تشاء .

عادة قبيحة ، افقدتهم المقدرة على رؤية حدود تحمل الشعب الاكاذيب والشرشحات والاهانات الرخيصة ، ان العصر يستطيع ان ينجب بشرا تكذب سنة في كل يوم .. ولكن كل منجزات العصر تعجز عن ارغام شعب تحمل سنوات الكذب على منكبيه ابد الدهر .

سنوات كذب .. كعام الحسم ،

كعام الحسم .. العام الذي ارادوه ان يكون الف عام !!

المال سلاح ولكن متى ؟

بين الحين والحين يحمل الرأسمال (العربي) البندقية على كتفه ويحزم صف الرصاص على خصره ويرفع راية القتال ويجري الى ... ارض المعركة !

هذا (السفر بر) العجيب للابين الدولارات السارحة في بنوك اوربا لا وجود له طبعا الا في مخيلة الافلام الفاسقة ، افلام الاجرة والنسمرة .

فحين تلم الملمات على رأس شعبنا ، وحين تقضم قطعة من ارضنا هنا وقطعة من هناك وحين تنبطح الانظمة العربية على ظهرها بلا سلاح الا الاكاذيب والمؤتمرات ومجموعات الاناشيد الوطنية ، تدور الافلام الفاسقة ، افلام الاجرة ، تنفث مدادها الفاسد .. تخدع .. وتحذر ... وتضحك على ذقن الشعب.

الافلام هذه ... تحول بلا حياء الملايين المقدسة في بنوك سويسرا وبريطانيا والمانيا الغربية الى اكسير ...

الى سلاح فتاك ...

الى سورمان عربي ، يقفز بضربة عين ديان الواحدة ويسحق رأس بريطانيا ، ويثقب سفن الاسطول السادس ، ويقصف رقاب جنود فورش الفارسي المتمددين بنشوه على الارض العربية الطيبة .

اما كيف يتحول المال المسروق من قوت شعبنا الى فدائي ؟

هذا المال الذي كدسه حكام الخليج ليوم لا تجدون فيه غير عباءات الحريم وسفن الجيش البريطاني ملاذا لهم من قبضة الشعب .

اما كيف يتحول مثل هذا المال الى مناضل ... بطل يصد عن العرب عاديات الزمن ، فهذا ما لا تشرحه افلام الاجرة ..

المال ... ايتها الافلام ... لا يتحول الى سلاح الا حين يكون مالا للشعب وبيد الشعب .

المال ايتها الافلام ، لا يقتل الاعداء ، الا اذا كان مال الشعب وبيد الشعب .

اما الاموال التي في سويسرا .. في بريطانيا .. في المانيا الغربية .

الاموال التي سرقت من افواه الجياع، واغتصبت من جيوب الحفاة ،

الاموال التي خرجت الى اوربا خلسة ، اموال لا تناضل ولا تقاتل ولا ترفع السلاح!

.. انها اموال ... حرام !!

اموال خبثت للفسق والفجور واعداد المؤامرات !

ليس ملاكا .. ولكنه بشر

لا اعرف لماذا يصر البعض على ان يكون الفدائي ملاكا !

ان ينزع عن جسده جلد البشر ويرتدي قفطان الملائكة ويحلق بين السماء والارض بدون ان يشعر به احد .

فحين يخطىء الفدائي ... مجرد خطا عادي لا يبدو له قيمة بالنسبة للاخرين ، تنقلب الدواوين وتتكفىء الاواني وتهتز الاركان والابدان ... وتتهافت الكلمات المتضايقة .. ويا عيب الشوم !!!

اذا انطلقت ، ولو بالخطأ ، طلقة من كلاشن فدائي ... بالخطأ .. فتحت لافواه وبحلقت العيون ، وصرخ البعيد والقريب وكان الدنيا انقلبت !

في كل بيت ، وفي كل دار ..

في كل يد وجيب وحزام قطعة سلاح حبلى برصاصها ...

وفي كل عرس او حفل او انتخاب او قدوم او ذهاب يلمع الرصاص حتى السماء السابعة !

الالوف الالوف من الطلقات التي لا يهتز لها بدن ولا يرتعش من صوتها صيوان اذن ولا ذيل عصفور !

اما ان تنطلق طلقة واحدة من سلاح فدائي، فدائي اخرست الانظمة سلاحه ، واوثقت الاتفاقيات زناده .

طلقة واحدة ،

قد تكون بالصدفة ،

قد يكون بالخطأ ،

قد تكون طلقة شوق وبعد والم ،

طلقة تحكي وليست بثملة او سكرى ..

فقط .. هذه الطلقة لا يغتفرها البعض..

البعض الذين يريدون الفدائي ملاكا ... فوق البشر.. يسبح بين تصوراتهم المثالية. لا ثائرا على الواقع يريد قلبه ، منبثقا من قلب هذا الواقع ..

وعلى المفاهيم يريد تغييرها ..

تغير كل المفاهيم حتى تلك المثالية منها !